

المناسبات في قصة سليمان عليه السلام من خلال تفسير الرازي
- دراسة تطبيقية في سورة النمل - مقارنة مع تفسير ابن عاشور

The Relevance between the verses in the story of Solomon - peace be upon him- from Al-Tafsir Al Kabir by Al Razi -An applied study in Surat Al Naml- Compared with the Interpretation of the Liberation and enlightenment to Ibn Ashour

أفراح عبد الله محمد قلنده¹، د. أحمد عبد الكريم شوكة²

¹ جامعة الشارقة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، -إ.ع.م. af.qalanda@gmail.com

² جامعة الشارقة، ك. الشريعة والدراسات الإسلامية، -إ.ع.م. drahmedshoka@yahoo.com

تاريخ القبول: 2019/02/12

تاريخ الاستلام: 2018/10/02

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان أهمية التناسب بين آيات وسور القرآن الكريم والتي تكمن في إثبات حكمة توقيف الآيات والسور وأنها بوحى من الله عز وجل. وقد ذكر الباحث مثلاً تطبيقياً من التفسير الكبير للفخر الرازي وذلك من خلال استخراج المناسبات في قصة سليمان عليه السلام - من الآية 15 إلى 44 من سورة النمل - وبيان نوعها، ومقارنتها بالمناسبات المستخرجة من تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ثم بيان قواعد المناسبات المستخلصة من كلا التفسيرين لفهم خصائص النظم القرآني. فأسأل الله التوفيق.

الكلمات المفتاحية: المناسبات؛ الرازي؛ التفسير الكبير؛ سورة النمل؛ قصة سليمان.

Abstract:

The purpose of this research is to demonstrate the beauty and importance of the proportionality between the Surahs and Verses of the Holy Quran, which proves strongly that the order of Surahs and Verses is undoubtedly inspired by God Almighty. The researcher took an example from Al-Tafsir Al Kabir (The Great Commentary) by Al Razi, through the extraction of events in the story of Solomon- (سليمان) peace be upon him- from Verse 15 to 44 of Surah Al-Naml. And the statement of its kind, and compare the events extracted from the Interpretation of the Liberation and enlightenment to Ibn Ashour, and then the rules of events derived from both interpretations To understand the characteristics of Quranic systems. I ask God success.

Keywords: Al Razi; Al-Tafsir Al Kabir; Ibn Ashour; the story of Solomon; Surah Al-Naml

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، أحمدته حمد الشاكرين، وأثني عليه بما هو أهله، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير، محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه، وكل من تبع هداه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن أعظم علم صرفت إليه الهمم علم الكتاب المنزل؛ إذ هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، محكم السرد دقيق السبك متين الأسلوب قوي الاتصال آخذ بعضه ببعض في سورة وآياته كالسبيكة الواحدة، نظمت حروفه وكلماته ونسقت جملة وآياته وجاء آخره مساوفاً لأوله وبدا أوله مواتياً لآخره⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿الرَّكَتَبُ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1].

وعلم المناسبات علم عظيم، يُعنى باستقصاء الفوائد والحكم في ترتيب سور القرآن، ومعرفة مناسبة هذا الترتيب، كما يعتني في سبب نزول الآيات القرآنية.

¹ ينظر (الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط.3، (60/1)).

_____ المناسبات في قصة سليمان عليه السلام من خلال تفسير الرازي

- دراسة تطبيقية في سورة النمل - مقارنة مع تفسير ابن عاشور

وبعد الإمام فخر الدين الرازي من علماء التفسير الذين أكثروا الكتابة فيه، وأجاد بالحديث عنه، ولأجل هذا خصصت بحثي في (المناسبات في قصة سليمان عليه السلام) من خلال تفسير الرازي - دراسة تطبيقية على الآيات من 15 حتى 44 من سورة النمل - جمعاً ودراسةً ومقارنةً. سائلين الله التوفيق والسداد.

أهمية البحث:

تكمن أهميته في تقديم نموذج مبسط ومختصر عن علم المناسبات القرآنية، من خلال تفسير الإمام: الفخر الرازي رحمه الله بصفته من أعلام هذا العلم ورائده، وذلك من خلال قصة سليمان عليه السلام في سورة النمل من الآية 15 حتى الآية 44.

إشكالية البحث: سيجيب البحث عن التساؤلات التالية:

- هل تطرّق الإمامان -رحمهما الله- إلى المناسبات في الآيات المراد دراستها؟
- ما أنواع المناسبات التي توصل إليها الإمامان -رحمهما الله- ؟
- ما هي قواعد المناسبات عند الإمامين -رحمهما الله- ؟ .

أهداف البحث:

- الأهداف التي نسعى إلى تحقيقها - بإذن الله تعالى - من خلال البحث هي ما يأتي:
- جمع ما ذكره الإمامان -رحمهما الله- من مناسبات في الآيات المحددة.
- وبيان أنواع المناسبات التي توصل إليها الإمامان -رحمهما الله-.
- بيان قواعد المناسبات المستخلصة من تفسيري الإمامين -رحمهما الله- .

الدراسات السابقة: إنّ دراسة علم المناسبات بين الآيات والصور القرآنية ليست دراسة جديدة حيث اعتنى بها عدد من الباحثين قديماً وحديثاً، ومن ذلك مثلاً:

- **آيدين:** محمد مصطفى، "المناسبات بين الأسماء الحسنى والآيات التي ختمت بها"⁽¹⁾، وهي دراسة مقتصرة بما ذكرت، ويختلف البحث عنها بالجانب التطبيقي لسورة النمل.

- **بخش:** ملك عبد الرزاق بعنوان: "المناسبات في القصص القرآني عند البقاعي (تحليل وموازنة)"⁽²⁾. فهي دراسة على المناسبات في القصص القرآني عند البقاعي وليست مقتصرة على ما ورد في تفسير الرازي.

- **حميدة:** طارق مصطفى محمد، بعنوان "التناسب في سورة البقرة"⁽³⁾ فقد قامت هذه الرسالة على أربعة فصول، في موضوع التناسب، وأوجه التناسب وأنواعه في القرآن، ثم تحدث عن أوجه التناسب في سورة البقرة. ويختلف البحث الذي نحن بصددته عن هذه الدراسة من حيث إنه يهتم بجمع ودراسة المناسبات في "التفسير الكبير" للفخر الرازي في سورة النمل.

- **القرني:** عبدالله بن مقبل بن ظافر "المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي"⁽⁴⁾، ويختلف البحث عن هذه الدراسة في الجانب التطبيقي في سورة النمل.

- **رسائل طلبة جامعة الشارقة** التي تناولت المناسبات في تفسير مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي في مختلف سور القرآن، وتختلف هذه الدراسات عن بحثي في الجانب التطبيقي في سورة النمل.

¹ قدمت هذه الدراسة ضمن متطلبات اتمام درجة الماجستير في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، (1409هـ/1989م).

² قدمت هذه الدراسة ضمن متطلبات اتمام درجة الدكتوراه في كلية اللغة العربية تخصص قصص القرآن بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1413هـ.

³ قدمت هذه الدراسة ضمن متطلبات اتمام درجة الماجستير، 2007/6/17م، جامعة القدس.

⁴ قدمت هذه الدراسة ضمن متطلبات اتمام درجة الماجستير في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى 1412. 1413هـ.

- دراسة تطبيقية في سورة النمل - مقارنة مع تفسير ابن عاشور

محددات الدراسة: الآيات من آية 15 إلى آية 44 من سورة النمل.

منهجية البحث:

1. المنهج الاستقرائي ويتمثل في استخراج المناسبات لدى الرازي - رحمه الله تعالى - من خلال التفسير الكبير ضمن القدر المحدد لي وهي الآية 15 حتى الآية 44 من سورة النمل .
2. المنهج التحليلي في الوصول إلى منهجية الإمام الفخر الرازي في التناسب القرآني من خلال الآيات المحددة بسورة النمل واستخلاص النتائج.

خطة البحث:

جاء هذا البحث بعد المقدمة في مبحثين وخاتمة:

المبحث الأول: التعريف بالإمامين - رحمهما الله - وعلم المناسبات ، ويتضمن المطالب التالية:

- المطلب الأول: التعريف بالإمامين الرازي وابن عاشور - رحمهما الله - .
- المطلب الثاني: نبذة عن علم المناسبات وأهميته.

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية على الآيات من 15 إلى 44 من سورة النمل، ويشمل المطالب التالية:

- المطلب الأول: المناسبات العامة في سورة النمل.
- المطلب الثاني: المناسبة بين المقاطع والآيات .
- الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث.

المبحث الأول: التعريف بالإمامين -رحمهما الله- وعلم المناسبات: ويتضمن مطلبين:
المطلب الأول: التعريف بالإمامين الرازي وابن عاشور -رحمهما الله-:

• الإمام الرازي:

اسمه ونسبه: هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري⁽¹⁾، الملقب بفخر الدين الرازي⁽²⁾، ومعروف بابن خطيب الري⁽³⁾ -نسبة إلى والده الخطيب ضياء الدين⁽⁴⁾، الشافعي المفسر⁽⁵⁾. ولد في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين، وقيل ثلاث وأربعين وخمسمائة⁽⁶⁾، في مدينة الري⁽⁷⁾ وإليها نسبته⁽⁸⁾.

مكانته وثناء العلماء عليه: احتلّ الفخر الرازي منزلة رفيعة ومكانة عالية، ولقد تواترت أقوال العلماء والمؤرخين الذين وصفوه بأحسن الكلام ورفعوه إلى أسمى المراتب، التي تدل على أنه حظي بمكانة عظيمة بين العلماء لم ينلها عالم آخر في عصره، ومنها:

¹ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط. 2002، م5، (313/6).

² ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، عدد الأجزاء: 7، ط. 1، 1971م، (249/4).

³ ينظر (الأعلام للزركلي) (313/6).

⁴ ضياء الدين هو: أبو القاسم الرازي، عمر بن الحسين بن الحسن، خطيب الري والد الإمام فخر الدين، الشافعي أحد أئمة الإسلام، أخذ علم الكلام عن ابن القاسم الأنصاري تلميذ إمام الحرمين، وأخذ الفقه عن صاحب التهذيب، من مؤلفاته كتاب غاية المرام في علم الكلام وهو من أنفس كتب أهل السنة (ينظر: السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط. 2، 1413هـ، عدد الأجزاء: 10، (242/7)).

⁵ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المحقق: الدكتور بشار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، 2003 م، عدد الأجزاء: 15، (137/13).

⁶ وفيات الأعيان لابن خلكان (252/4).

⁷ بفتح أوله، وتشديد ثانيه، وهي مدينة مشهورة من أمتها البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات، وهي محطّ الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً. (ينظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط. 2، 1995م، عدد الأجزاء: 7، (166/3)).

⁸ ابن عاشور، محمد الفاضل، التفسير ورجاله، الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية، 1390هـ/1970م، 1/69.

_____ المناسبات في قصة سليمان عليه السلام من خلال تفسير الرازي

- دراسة تطبيقية في سورة النمل - مقارنة مع تفسير ابن عاشور

قال عنه القزويني (صاحب آثار البلاد): "إمام الوقت ونادرة الدهر وأعجوبة الزمان"⁽¹⁾، وقال عنه اليافعي (صاحب مرآة الجنان): "الإمام الكبير، العلامة، الأصولي، المتكلم، المناظر المفسر، صاحب التصانيف المشهورة في الآفاق الحظية، سوق الإفادة بالاتفاق... فريد عصره، ونسيج وحده الذي قال فيه بعض العلماء: خصه الله برأي هو للغيب طليعة... فيرى الحق بعين دونها حد الطبيعة"⁽²⁾، وقال عنه الصفدي (صاحب الوافي بالوفيات): "علامة العلماء والبحر الذي.. لَا يَنْتَهِي وَلِكُلِّ بَحْرٍ سَاحِلٌ، مَا ذَارٍ فِي الْحَنَكِ اللَّسَانَ وَقَلْبَتِ.. قَلَمًا بِأَحْسَنَ مِنْ ثَنَاهِ أَنْامِلٍ"⁽³⁾، وقال عنه أبو الفلاح (صاحب الشذرات): "كان إذا ركب مشى معه نحو الثلاثمائة مشغل على اختلاف مطالبهم، في التفسير، والفقه، والكلام، والأصول، والطب، وغير ذلك. وكان فريد عصره، ومتكلم زمانه، رزق الخطوة في تصانيفه، وانتشرت في الأقاليم"⁽⁴⁾.

وفاته: توفي الفخر الرازي بهرة في يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة⁽⁵⁾. وأملى في شدة مرضه وصية على تلميذه إبراهيم بن أبي بكر بن علي الأصفهاني⁽⁶⁾، ومن وصيته: "لقد اخترت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن، لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال لله، ويمنع عن التعمق في إيراد

¹ القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، عدد الأجزاء: 1، ص. 377.

² اليافعي، أبو محمد غفيل الدين، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1417هـ-1997م، (7/4) بتصرف.

³ الصفدي، صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ-2000م، عدد الأجزاء: 29، (4/176).

⁴ أبو الفلاح، عبد الحي بن أحمد بن محمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح. محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط. 1، 1406هـ-1986م، عدد الأجزاء: 11، (7/40).

⁵ الداودي، شمس الدين محمد بن علي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، (2/218).

⁶ عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن خلكان، ص. 462.

المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك الحقائق العميقة، والمناهج الخفية"⁽¹⁾.

• الإمام ابن عاشور:

اسمه ونسبه: هو محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور⁽²⁾، ولد في ضاحية المرسى⁽³⁾.

مكانته وثناء العلماء عليه: كان الشيخ ابن عاشور نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، في عهد الباي محمد الصادق (باشا). ولي قضاءها سنة 1267 هـ ثم الفُتيا (سنة 1277) فنقابة الأشراف⁽⁴⁾.

كان للشيخ مكانة عالية رفيعة عند أهل العلم، قال عنه الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ جامع الأزهر: "ولأستاذ فصاحة منطق، وبراعة بيان، ويضيف إلى غزارة العلم وقوة النظر، صفاء الذوق، وسعة الاطلاع في آداب اللغة ... كنت أرى فيه لساناً لهجته الصديق، وسريرة نقية من كل خاطر سيء، وهمة طماحة إلى المعالي، وجداً في العمل لا يمسّه كلال، ومحافظة على واجبات الدين وآدابه... وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم"⁽⁵⁾.

وفاته: توفي الطاهر ابن عاشور في المرسى عن 94 سنة، في يوم الأحد (13 رجب 1394 هـ) الموافق (12 أغسطس 1973)⁽⁶⁾. أسأل الله له الرحمة والمغفرة.

¹ التفسير ورجاله لابن عاشور ص. 71.

² الإعلام للزركلي، (173/6)

³ المرسى: من نواحي إفريقية بينه وبين ميلة يوم واحد (ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، (107/5))

⁴ الإعلام للزركلي، (173/6)

⁵ ينظر: ابن الخوجة، محمد الحبيب، محمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، ط. 1، 1425 - 2004، عدد الأجزاء: 3، (169/1)).

⁶ المرجع السابق نفسه.

المطلب الثاني: لمحة عن علم المناسبات وأهميته:

تعريف علم المناسبات:

المناسبة في اللغة من النسب والنسبة وهي بمعنى قرابة⁽¹⁾، وفلان يناسب فلاناً فهو نسيبه؛ أي قريبه، وتقول: ليس بينهما مناسبة؛ أي مشاكلة⁽²⁾. ويقال: بين الشيئين مناسبة وتناسب؛ أي مشاكلة⁽³⁾.

أما علم المناسبة في اصطلاح علماء علوم القرآن، فقد عرفه الإمام البقاعي: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة"⁽⁴⁾.

وعرفه الإمام الزركشي فقال: "المناسبة أمر معقول؛ إذا عرض على العقول تلقت بالقبول. وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها؛ ومرجعها والله أعلم إلى معنى ما رابط بينهما: عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي وغير ذلك من أنواع العلاقات"⁽⁵⁾.

وقال الإمام السيوطي: "قال ابن العربي⁽⁶⁾ في "سراج المريدين": ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"⁽⁷⁾.

¹ ينظر (الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، عدد الأجزاء: 40، فصل النون مع الباء، مادة "نسب"، (4/260-261).

² الجوهري، أبو نصر إسماعيل، الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط. 4، 1407هـ-1987م، عدد الأجزاء: 6، فصل النون، مادة "نسب"، (1/224).

³ تاج العروس للزبيدي، (4/265).

⁴ البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، 1404هـ-1984م، عدد الأجزاء: 22، (5/1).

⁵ الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط. 1، 1376 هـ - 1957 م، عدد الأجزاء: 4، (35/1).

⁶ ابن العربي: هو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْإِمَامِ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْعَرَبِيِّ، الحافظ، ولد سنة 468هـ، وتوفي سنة 543هـ، تفقه على أبا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنِ الْوَلِيدِ الطُّرُوشِيِّ وجماعة من العلماء والمحدثين، ومن تصانيفه: كتاب "عارضة الأحوذ في شرح الترمذي". (ينظر تاريخ الإسلام للذهبي (11/834)).

⁷ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974 م، عدد الأجزاء: 4، (3/369).

ويتضح لنا من خلال التعريفات السابقة أن علم المناسبات يبحث في العلل التي تربط بين السور والآيات بعضها ببعض ليُعلم سر البلاغة والتلازم بينها. والله أعلم.

فوائد علم المناسبات:

قال الفخر الرازي في سورة البقرة: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته ولعل الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك"⁽¹⁾، وفي قوله لفظة واضحة لأهمية علم المناسبات، وتكمن أهميته في فوائده، وسأذكر بعضها على وجه الاختصار⁽²⁾:

- إنَّ إظهار المناسبات في الآيات والسور تلقي الضوء على غرض السورة أو الآية ومقصودها فيساعد على فهم النص القرآني وبيان معناه.

- جلاء كيفية ارتباط الكلام، كما قال الزركشي: "وفائده جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"⁽³⁾.

- كشف حكمة تكرار بعض قصص القرآن، وأن القصة تُكرر حسب المناسبة، ولذلك ترى اختلافاً في ترتيب القصة ونظمها ومقدار ما يذكر منها بحسب المناسبة وإن كانت القصة في أصلها واحد⁽⁴⁾.

¹ الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط. 3، 1420 هـ، عدد الأجزاء: 32، (106/7).

² ينظر (عتر، نور الدين، علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه، دار الوثائقي للدراسات الإسلامية - دمشق-سوريا، ط. 2، 1437 هـ-2016 م، (ص 23-26)) وينظر (بازمول، محمد بن عمر بن سالم، علم المناسبات في السور والآيات، المكتبة المكية-مكة المكرمة، ط. 1، 1423 هـ-2002 م، ص 38-41).

³ البرهان في علوم القرآن للزركشي، (36/1).

⁴ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، (14/1).

- دراسة تطبيقية في سورة النمل - مقارنة مع تفسير ابن عاشور

- إنَّ معرفة المناسبة للسورة أو الآيات المدروسة مع ما قبلها يساعد على ترجيح بعض الآراء على بعضها الآخر، لأن الآراء إذا تساوت في القوة كان يتناسب الكلام مع بعضه أولى بالترجيح، وذلك أمر واضح معمول به في مصادر التفسير حتى التفسير بالمأثور.

- إنَّ في هذا العلم إبرازاً لجانب من أسرار القرآن العظيم، وترسيخاً للاعتقاد بإعجازه؛ لما في هذا العلم من لطائف تدهش الناظر في كتاب الله. كما قال الفخر الرازي: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"⁽¹⁾

أقسام المناسبات: علم المناسبات علم دقيق، يعتمد على قوة وفطنة المستنبط في كشف العلل والحكم من الترابط، فضلاً عن مدى تعلق بعضه ببعض. قال الزركشي: "الذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سبقت له"⁽²⁾ ونجد العلماء قد قسموا المناسبات في القرآن الكريم على قسمين أساسيين هما:

- المناسبات بين السور وفيها:

● مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

● مناسبة افتتاح السورة لخاتمها.

- المناسبات بين آيات القرآن وفيها:

● المناسبات بين المقاطع.

● مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها.

● المناسبة بين جمل الآية.

● مناسبة الفاصلة⁽³⁾.

¹ مفاتيح الغيب للرازي، (10/110).

² البرهان في علوم القرآن للزركشي، (37/1).

³ لغة : فصل بينهما يفصل فصلاً فانفصل، وفصلت الشيء فانفصل أي قطعت فانقطع (لسان العرب لابن منظور، (11/521). اصطلاحاً: هي كلمة آخر الآية ككفاية الشعر وقرينة السجع. (البرهان في علوم القرآن للزركشي، (1/53).

وقد اشتغل العلماء على هذين النوعين فنجد كتاب "البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير الثقفي" تناول المناسبات بين السور، وكتاب "نظم الدرر في تناسب الآي والسور للبقاعي" قد تناول كلا النوعين، وقد حوى كتب المفسرين كلا النوعين بتفاوت. ومن المهتمين بذكر المناسبات الإمام الرازي/ في كتابه مفاتيح الغيب، والإمام ابن عاشور/ في كتابه التحرير والتنوير، وستناول - بإذن الله - بعض الأمثلة عليهم في الجزء التطبيقي للبحث.

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية على الآيات من 15 إلى 44 من سورة النمل:

المطلب الأول: المناسبات العامة في سورة النمل:

مناسبة سورة النمل لما قبلها:

سبق وأن ذكرنا أن سورة النمل هي السابع والعشرون في المصحف العثماني، وسبققتها سورة الشعراء، ويمكن تلخيص المناسبة بين سورة النمل وسورة الشعراء في النقاط الآتية⁽¹⁾:

1. كلتا السورتين مكيتان وبذلك تتحدان في خصائص القرآن المكي.

2. كلتا السورتين بدأتا بالتحدي بالحروف المقطعة: ﴿طَسَمَ﴾ [الشعراء: 1]، ﴿طَسَّ﴾ [النمل: 1].

[النمل: 1]. كما أن أوائل سورة الشعراء ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الشعراء: 2]، وأوائل سورة النمل ﴿طَسَّ﴾ [النمل: 1]، فكأن السورتين تدوران حول محور واحد ومقصد واحد وهو بيان أن هذا الكتاب الكريم هو من عند الله.

3. ختم الله سبحانه وتعالى سورة الشعراء بالدفاع عن القرآن الكريم من أن يكون من

واردات الشعر، والدفاع عن النبي ﷺ، أن يكون من زمرة الشعراء، ووصف من يتبع الشعراء بالغاوون. وبدأ سورة النمل بالحديث عن هذا القرآن أنه هدى وبشرى للمؤمنين الذين يؤمنون به، يتعاملون بأحكامه وآدابه، على حين أن الشعر يقوم عموده على غير هذا الطريق

¹ ينظر: الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط. 2، 1418هـ، عدد الأجزاء: 30، (253/19)). وينظر: المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـ)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط. 1، 1365هـ-1946م، (118/19)).

- دراسة تطبيقية في سورة النمل - مقارنة مع تفسير ابن عاشور

الجادّ المستقيم، ومؤكداً أن النبي يتلقى هذا القرآن وحياً من لدن حكيم عليم⁽¹⁾.

4. تلتقي السورتان في بيان وحدة القصد من القصص القرآني، وهو تسليّة الرسول

صلّى الله عليه وسلم عما يلقاه من أذى قومه، وإعراضهم عنه.

5. سورة النمل تنمة لسورة الشعراء؛ حيث زاد سبحانه فيها ذكر داود وسليمان

عليهما السلام، وبسط فيها قصة لوط عليه السلام أبسط مما هي قبل⁽²⁾.

6. في سورة النمل تفصيل لبعض ما أجمل في سورة الشعراء؛ كقصة لوط وموسى -

عليهما السلام-.

مناسبة فاتحة السورة لخاتمها:

ابتدأت هذه السورة الكريمة بذكر الحروف المقطعة التي فيها تحدي وإعجاز للعرب

وهم أهل الفصاحة والبيان بأن يأتوا بمثله، وهذا خير دليل على صدق النبي ﷺ وأن القرآن

من عند الله وهو هدى وبشرى للمؤمنين ﴿طَسَّ تَلَكَّ ءَايَتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ۝ هُدًى

وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [النمل: 1 - 2].

وكذلك ختمت هذه السورة الكريمة بذكر القرآن حيث أمر الله تعالى نبيه أن يتلو

القرآن ففيها الهدى لمن أراد النجاة في الآخرة⁽³⁾. كما جاء في الآية وعد الله أن يرينا الآيات؛

والآيات هي المعجزات والدلالات على صدق النبوة. ﴿وَأَن تَتْلُوا الْقُرْآنَ ۖ فَمَن أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا

يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَرْبِكُمْ ءَايَتُهُ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ

بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝﴾ [النمل: 92. 93].

¹ ينظر: الخطيب، عبد الكريم يونس (ت: بعد 1390هـ)، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ط. 1، 1390هـ-1970م، (205/10).

² الألوسي، شهاب الدين محمود (ت: 1270هـ)، روح المعاني = تفسير الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1415 هـ، عدد الأجزاء: 16، (151/10).

³ ينظر (التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، (5/419)).

ومن هنا نرى المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها.

مناسبة السورة لما بعدها:

قد تناسبت أواخر سورة النمل مع أوائل سورة القصص من نواحي وهي:

- ختم سورة النمل بذكر المعجزات ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا

تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النمل: 93]، وبدأ سورة القصص بذكر المعجزة التي اعجزت العرب عن الإتيان

بمثلها وهي الحروف ﴿طَسَمَ ١﴾ [القصص: 1]

- حديثهما عن تلاوة القرآن، فقد جاء في سورة النمل ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا

يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ﴾ [النمل: 92]، وفي سورة القصص قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ

﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَّبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ [القصص: 2 - 3].

المطلب الثاني: مناسبة المقاطع والآيات بين آية 15 حتى 44:

المناسبة بين جمل الآية 15:

• المناسبة بين ﴿وَقَالَا﴾ بما قبله في الآية: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ [النمل: 15]:

قال الرازي رحمه الله: "فإن قيل أليس هذا موضع الفاء دون الواو، كقولك أعطيتك

فشكر؟ جوابه: أن الشكر باللسان إنما يحسن موقعه إذا كان مسبوقا بعمل القلب وهو العزم

على فعل الطاعة وترك المعصية، وبعمل الجوارح وهو الاشتغال بالطاعات، ولما كان الشكر

باللسان يجب كونه مسبوقا بهما فلا جرم صار كأنه قال: ولقد آتيناهما علما، فعملا به قلبا

وقالبا، وقال باللسان الحمد لله الذي فعل كذا وكذا" (1).

¹ مفاتيح الغيب للرازي، (547/24).

_____ المناسبات في قصة سليمان عليه السلام من خلال تفسير الرازي

- دراسة تطبيقية في سورة النمل - مقارنة مع تفسير ابن عاشور

قال ابن عاشور رحمه الله: "وحكاية قولهما الحمد لله الذي فضلنا كناية عن تفضيلهما بفضائل غير العلم. ألا ترى إلى قوله: على كثير من عباده المؤمنين ومنهم أهل العلم وغيرهم، وتنويه بأنهما شاكران نعمته. ولأجل ذلك عطف قولهما هذا بالواو دون الفاء لأنه ليس حمداً لمجرد الشكر على إيتاء العلم"⁽¹⁾.

من المعروف عند أهل اللغة أن المعطوف إذا كان مسبباً عن المعطوف عليه؛ أن يعطف بالفاء السببية، لكن الآية جاءت بحرف العطف "الواو" وقد ذكر الإمامان رحمهما الله سببين لاستخدام حرف العطف "الواو" بدل الفاء في الآية:

- يرى الرازي رحمه الله أن في الآية جملة محذوفة تقديرها "ولقد آتينا داود وسليمان علماً فعملوا به قلباً وقلباً وقالوا الحمد لله" فالعطف بالواو إشعاراً بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما العلم، وشيء من مواجهه، فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد⁽²⁾.

- بينما يرى ابن عاشور رحمه الله أن النعم التي أنعم الله تعالى على داود وسليمان كثيرة وليست مقتصرة بإيتاء العلم، ولو عطف بالفاء لكان الحمد على نعمة العلم فقط.

مناسبة الفاصلة في الآية 16:

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾

¹ التحرير والتنوير، (19/ 234)

² ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (ت: 538هـ)، الكشاف=تفسير الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. 3، 1407 هـ، عدد الأجزاء: 4، (352/3).

قال الرازي رحمه الله: "أما قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: 16] فهو تقرير لقوله: ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا﴾ [النمل: 15] والمقصود منه الشكر والمحمدة كما قال عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»⁽¹⁾»⁽²⁾.

قال ابن عاشور رحمه الله: "مقصود به تعظيم النعمة أداء للشكر عليها بالمستطاع من العبارة"⁽³⁾.

من كلام الرازي رحمه الله نرى أن الصلة بين الفاصلة وصدر الآية هو التمكين، حيث جاءت الفاصلة تقريراً لما سبقه. بينما اكتفى ابن عاشور رحمه الله في بيان مقصود الآية.

المناسبة بين جمل الآية 19:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّْ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ بَيْنَ صَاحِبِ مَفَاتِيحِ الْغَيْبِ⁽⁴⁾ المناسبة بقوله: "فلما طلب في الدنيا الإعانة على الخيرات طلب أن يجعل في الآخرة من الصالحين... واعلم أن سليمان عليه السلام طلب ما يكون وسيلة إلى ثواب الآخرة أولاً ثم طلب ثواب الآخرة ثانياً، أما وسيلة الثواب فهي أمران:

- شكر النعمة السالفة، في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّْ﴾ [النمل: 19].

- الاشتغال بسائر أنواع الخدمة، في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [النمل: 19].

¹ أخرجه الترمذي مطولاً بذكر قصة الشفاعة برقم (3148)، من طريق سفيان بن عيينة، عن علي بن زيد، بهذا الإسناد. وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَقَدْ رَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، الْحَدِيثُ بِطَوِيلِهِ. (الترمذي، محمد بن عيسى (ت: 279هـ)، الجامع الكبير - سنن الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 م، عدد الأجزاء: 6، أبواب تفسير القرآن، رقم (3148)، (5/159)).

² مفاتيح الغيب، (548/24)

³ التحرير والتنوير، (238/19)

⁴ مفاتيح الغيب (549/24).

- دراسة تطبيقية في سورة النمل - مقارنة مع تفسير ابن عاشور

وأما طلب ثواب الآخرة، فقولته تعالى: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ لم يتعرض ابن عاشور رحمه الله لذكر مناسبة الفاصلة في هذه الآية. ويظهر أن الرازي رحمه الله رجع إلى قاعدة حسن النسق⁽¹⁾، حيث إنَّ في جملة معطوف بعضها على بعضها بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه من طلب ما يكون وسيلة إلى ثواب الآخرة إلى طلب ثواب الآخرة.

المناسبة بين جمل الآية 24 :

• مناسبة ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ لما قبلها في الآية: ﴿وَعِدَّتْهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (٢٤)

لم يتعرض صاحب مفاتيح الغيب للمناسبة في هذه الآية، لكن يمكننا الاستنتاج من قوله رحمه الله في رده على قول المعتزلة: أن هذا قول الهدهد⁽²⁾، أنه يرى أن الواو للعطف وأنه من قول الهدهد.

وقال ابن عاشور رحمه الله: "يجوز أن يكون هذا من جملة الكلام الذي ألقي على لسان الهدهد، فالواو للعطف. والأظهر أنه كلام آخر من القرآن ذيل به الكلام الملقى إلى سليمان، فالواو للاعتراض بين الكلام الملقى لسليمان وبين جواب سليمان، والمقصود التعريض بالمشركين"⁽³⁾ ونخلص ممَّا أشار إليه المفسران أن هنالك احتمالين:

- أن الواو للعطف وأنه من كلام الهدهد.

- أن الواو للاعتراض⁽⁴⁾ والمقصود منه التعريض بالمشركين.

¹ حسن النسق: هو أن يأتي المتكلم بكلمات متتاليات معطوفات متلاحمات، تلاهما سليما مستحسنا بحيث إذا أفردت كل جملة منه قامت بنفسها واستقل معناها بلفظها. (الاتقان في علوم القرآن للسيوطي (316/3))

² مفاتيح الغيب، (552/24)

³ التحرير والتنوير، (254/19)

⁴ الاعتراض هو: هو عبارة عن جملة تعترض بين الكلامين، تفيد زيادة في معنى غرض المتكلم. (خزانة الأدب وغاية الأرب (280/2)).

مناسبة الآية: 25 لما قبلها:

● مناسبة الآية: ﴿وَالَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ

وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾، لما قبلها:

بيّن صاحب مفاتيح الغيب⁽¹⁾ المناسبة في قوله: "اعلم أن في قوله تعالى: ألا يسجدوا

قراءات:

- أحدها: قراءة من قرأ بالتخفيف (ألا) للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف⁽²⁾، كما

حذفه من قال: ألا يا أسلمي يا دارمي على البلى ... ولا زال منهلا بجرعائك القطر⁽³⁾.

- وثانيها: بالتشديد⁽⁴⁾. أراد فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا، فحذف الجار مع (أن)

ويجوز أن تكون لا مزيدة، ويكون المعنى فهم لا يهتدون (إلا) أن يسجدوا .

- ثالثها: وهي حرف عبد الله وهي قراءة الأعمش هلا بقلب الهمزة هاء، وعن عبد

الله هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب.

- رابعها: قراءة أبي⁽⁵⁾: (ألا يسجدون لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض

ويعلم سرهم وما تعلنون) ... واعلم أن المقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس

وتحرير الدلالة".

¹ مفاتيح الغيب، (552/24).

² وهي قراءة: قرأه الكسائي، ورويس، وأبو جعفر المدني، ووافقهم الحسن والشنبوذي وكذا المطوعي. ينظر: (البناء، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت: 1117هـ)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، المحقق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط. 3، 2006م - 1427هـ، عدد الأجزاء: 1، ص. 427.

³ البيت للشاعر ذي الرمة، غيلان بن عقبة، يقوله في صاحبه «ميّة» (شُرَّاب، محمد بن محمد حسن، شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري»، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. 1، 1427هـ - 2007م، عدد الأجزاء: 3، (404/1)).

⁴ هكذا قرأ الباقر . ينظر: (ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير (ت: 833هـ)، النشر في القراءات العشر، المحقق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية]، عدد الأجزاء: 2، (337/2)) - ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص. 427.

⁵ ينظر: أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن (ت: 665هـ)، إبراز المعاني من حرز الأمان في القراءات السبع، دار الكتب العلمية، عدد الأجزاء: 1، ص. 626.

- دراسة تطبيقية في سورة النمل - مقارنة مع تفسير ابن عاشور

ذكر ابن عاشور رحمه الله القراءات كما بينها الفخر الرازي رحمه الله ثم قال في نهاية تفسير الآية 26: "وفي منتهى هذه الآية موضع سجود تلاوة تحقيقاً للعمل بمقتضى قوله: ﴿الْأَيْسَجِدُوا لِلَّهِ﴾ وسواء قرئ بتشديد اللام من قوله: ألا يسجدوا أم بتخفيفها لأن مآل المعنى على القراءتين واحد وهو إنكار سجودهم لغير الله لأن الله هو الحقيق بالسجود"⁽¹⁾. وافق ابن عاشور رحمه الله الفخر الرازي رحمه الله بكون الآية جاءت معترضة بغرض إنكار سجودهم لغير الله والرد عليهم بتحرير الأدلة وتحقيق السجود لله تعالى وحده .

مناسبة الآية: 26 لما قبلها:

• مناسبة الآية: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ، لما قبلها:

قال الرازي رحمه الله: "فالمراد منه أنه سبحانه لما بين افتقار السموات والأرض وما بينهما إلى المدبر ذكر بعد ذلك أن ما هو أعظم الأجسام فهي مخلوقة ومربوبة وذلك يدل على أنه سبحانه هو المنتهى في القدرة والربوبية إلى ما لا يزيد عليه والله أعلم"⁽²⁾.

قال ابن عاشور رحمه الله: "مجيء جملة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ عقب ذلك استئناف هو بمنزلة النتيجة للصفات التي أجريت على اسم الجلالة وهو المقصود من هذا التذييل، أي ليس لغير الله شبهة إلهية"⁽³⁾.

مما سبق نرى أن الرازي رحمه الله أرجع المناسبة إلى قاعدة التأكيد⁽⁴⁾ حيث جاءت الآية مؤكدة لإلهية الله جلّ وعلا. بينما أرجع ابن عاشور رحمه الله المناسبة إلى قاعدة التذييل⁽⁵⁾.

¹ التحرير والتنوير، (256/19)

² مفاتيح الغيب، (553/24)

³ التحرير والتنوير، (256/19)

⁴ التأكيد: هو تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره. (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها لأحمد مطلوب (6/2))

⁵ التذييل: هو أن يؤتى بجملة عقب جملة والثانية تشتمل على المعنى الأول، لتأكيد منطوقه أو مفهومه ليظهر المعنى لمن لم يفهمه. (الاتقان في علوم القرآن للسيوطي (250/3)).

مناسبة الآية : 28 لما قبلها:

● مناسبة الآية: ﴿ أَذْهَبَ يَكْتُمِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظَرُ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ (٢٨)

لما قبلها:

لم يذكر الرازي رحمه الله المناسبة في هذه الآية.

بينما قال ابن عاشور رحمه الله: "الجملة مبيّنة لجملة ﴿ قَالَ سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [النمل: 27] لأن فيما سينكشف بعد توجيه كتابه إلى ملكة سبأ ما يصدق خبر الهدهد إن جاء من الملكة جواب عن كتابه، أو يكذب خبر الهدهد إن لم يجيء منها جواب"⁽¹⁾. ومن قول ابن عاشور رحمه الله نرى أن المناسبة ظاهرة، فالآية الثانية مفسرة للأولى.

المناسبة بين جمل الآية: 30:

﴿ قَالَ تَعَالَى: إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (٣٠)

قال فخر الدين الرازي رحمه الله: إنه استئناف وتبيين لما ألقى إليها كأنها لما قالت إني ألقى إلي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت إنه من سليمان وإنه كيت وكيت... يقال لم قدم سليمان اسمه على قوله: بسم الله الرحمن الرحيم؟ جوابه: حاشاه من ذلك بل ابتداء هو ببسم الله الرحمن الرحيم، وإنما ذكرت بلفظ أن هذا الكتاب من سليمان ثم حكى ما في الكتاب والله تعالى حكى ذلك فالتقديم واقع في الحكاية⁽²⁾»⁽³⁾.

¹ التحرير والتنوير، (19 / 256-257)

² الحكاية في اصطلاح النحويين: أن تنطق بمثل ما نطق به المتكلم، أو ببعضه، أو بما يؤدي إعرابه، إشعاراً تتعلق ما بين الكلامين. (الشاطبي، أبو إسحق إبراهيم بن موسى (ت: 790هـ)، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية= شرح ألفية ابن مالك، تحقيق: د. عبد المجيد قطامش، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط. 1، 1428هـ - 2007م، عدد الأجزاء: 10، (321/6)

³ مفاتيح الغيب، (554/24)

- دراسة تطبيقية في سورة النمل - مقارنة مع تفسير ابن عاشور

قال ابن عاشور رحمه الله: "يتبين أن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ بيان لعنوان الكتاب وأن قوله: ﴿وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ بيان لمضمون الكتاب، فلا يرد سؤال كيف قدم قوله: إنه من سليمان على إنه بسم الله الرحمن الرحيم" (1).
وافق ابن عاشور رحمه الله الفخر الرازي رحمه الله في بيان مناسبة تقديم اسم سليمان على البسملة.

مناسبة الفاصلة في الآية 40:

قال تعالى: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ﴾.

قال الرازي رحمه الله: "ومن كفر فإن ربي غني كريم غني عن شكره لا يضره كفرانه، كريم لا يقطع عنه نعمه بسبب إعراضه عن الشكر" (2).

قال ابن عاشور رحمه الله: "والعدول عن الإضمار إلى الإظهار في قوله: فإن ربي غني كريم دون أن يقول: فإنه غني كريم، تأكيد للاعتراف بتمحض الفضل المستفاد من قوله: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾" (3).

والذي يظهر - والله أعلم - أن الرازي رحمه الله أرجع المناسبة إلى قاعدة التمكين، فقد جاءت الفاصلة متمكنة في مكانها وذلك أن ما سبقها إشارة إلى أن شكر العبد إنما يكون لنفسه وأنه سبحانه غني عن شكره.

بينما بيّن ابن عاشور رحمه الله أن المناسبة التذييل لقوله تعالى ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ وذلك للاعتراف بتمحض (4) الفضل لله وحده سبحانه.

¹ التحرير والتنوير، (19-262)

² مفاتيح الغيب، (24/557)

³ التحرير والتنوير، (19/272)

⁴ تمحض: من محض ومعناه خالص لم يخالطه شيء (لسان العرب، باب الضاد المعجمة، فصل الميم، (7/227))

مناسبة الفاصلة في الآية 42:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾

قال فخر الدين الرازي رحمه الله: "أما قوله: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾ ففيه سؤالان، وهو أن هذا الكلام كلام من؟ وأيضا فعلى أي شيء عطف هذا الكلام؟ وعنه جوابان:

- الأول: أنه كلام سليمان وقومه، وذلك لأن بلقيس لما سئلت عن عرشها، ثم إنهما

أجابت بقولها: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ فالظاهر أن سليمان وقومه قالوا إنها قد أصابت في جوابها وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الإسلام، ثم عطفوا على ذلك قولهم وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته قبل علمها ويكون غرضهم من ذلك شكر الله تعالى في أن خصهم بمزية التقدم في الإسلام.

- الثاني: أنه من كلام بلقيس موصولا بقولها: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ والمعنى: وأوتينا العلم بالله وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة"⁽¹⁾.

كما ذكر صاحب التحرير والتنوير⁽²⁾ عدة احتمالات منها:

- يجوز أن يكون عطفاً على قوله: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ [النمل: 40] الآية وما

بينهما اعتراضاً، أي هذا من قول سليمان.

- ويجوز أن يكون عطفاً على قوله: ﴿نَنْظُرُ أَتَنْهَدِي﴾ [النمل: 41] الآية وما بينهما

اعتراضاً كذلك.

- ويجوز أن يكون عطفاً على ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ وما بينهما اعتراضاً به جواباً، أي

وقيل أوتينا العلم من قبلها، أي قال القائل: أهكذا عرشك، أي قال سليمان ذلك في ملئه عقب اختيار رأيها شكراً لله على ما لديه من العلم، أو قال بعض ملأ سليمان لبعض هذه المقالة.

يظهر مما تقدم من المفسرين -رحمهم الله- أن هناك أربعة احتمالات:

¹ مفاتيح الغيب، (558/24)

² التحرير والتنوير، (273/19)

- دراسة تطبيقية في سورة النمل - مقارنة مع تفسير ابن عاشور

- معطوف على قوله تعالى: ﴿أَهَكَذَا عَرَشُكَ﴾ [النمل: 42] وهو من قول سليمان وقومه.

- معطوف على قوله تعالى: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ [النمل: 40] وهو من قول سليمان.

- معطوف على قوله تعالى: ﴿نَنْظُرُ أَنَهَدِي﴾ [النمل: 41] وهو من قول سليمان.

- أنه من كلام بلقيس موصولا بقولها: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل: 42] والمعنى: وأوتينا العلم بالله وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة.

مناسبة الآية: 44 لما قبلها:

● مناسبة الآية: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾، لما قبلها: قال الرازي رحمه الله: "اعلم أنه تعالى لما حكى إقامتها على الكفر مع كل ما تقدم من الدلائل ذكر أن سليمان عليه السلام أظهر من الأمر ما صار داعيا لها إلى الإسلام وهو قوله ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾" (1).

قال ابن عاشور رحمه الله: "استئناف ابتدائي لجزء من القصة" (2).

نلاحظ هنا أنَّ الرازي رحمه الله قد أرجع المناسبة إلى قاعدة الاستطراد، ذلك أن الآية السابقة تحدثت عن صدها وإصرارها على الكفر رغم الدلائل، جاءت هذه الآية ليظهر لها ما يدعوها إلى الإسلام. بينما أرجعها ابن عاشور رحمه الله إلى قاعدة الاستئناف الابتدائي.

¹ مفاتيح الغيب، (559/24)

² التحرير والتنوير، (275/19)

الخاتمة:

ومن خلال ما تقدّم نخلص إلى ما يلي:

1. أظهرَ البحث بعض الخطوات المنهجية لعلم المناسبات أنَّه حجة عقلية على المتدبر أو المفسر في بيان النّظم الترتيبي والتركيبى لقصة موسى من سورة النّمل.
2. جمع المناسبات - في قصة موسى من سورة النمل - المتناثرة في "مفاتيح الغيب" و"التحرير والتنوير" في مكان واحد يثري المكتبة العلمية بالجديد المفيد.
3. كشفَ البحث عن تحقيق بعض المباحث الغوية كالأساليب البلاغية في قواعد المناسبات وهو ثمرة كبيرة مفادها فهم خصائص النّظم القرآني.
4. القرآن الكريم في إعجازه بنظمه لا يمكن تفسيره بمعزل عن سياقه الداخلي - علاقة الآية ببعضها-، ولا يتعد أيضاً عن سياقه الخارجي - ربط السّابق باللاحق من الآيات- على نسقٍ موضوعي مترابط؛ وصولاً للغايات، ضمن علم المناسبات كما هو واضحٌ عند الرازي رحمه الله من خلال تفسيره (مفاتيح الغيب)، وابن عاشور رحمه الله في كتابه التحرير والتنوير وهما من المكثرين في هذا الموضوع.
5. من خلال مقارنة المناسبات بين تفسير الإمام الرازي رحمه الله وتفسير ابن عاشور رحمه الله توصلنا إلى أنَّ ابن عاشور رحمه الله قد وافق الرازي في مواضع وخالفه في مواضع أخرى مما أثرى من البحث وبين اختلاف وجهات نظر المفسرين في مناسبة الربط بين الآيات.

– دراسة تطبيقية في سورة النمل – مقارنة مع تفسير ابن عاشور

المصادر والمراجع:

- 01- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير (ت: 833هـ)، النشر في القراءات العشر، المحقق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية]، د.ت.
- 02- ابن الخوجة، محمد الحبيب، محمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، ط.1، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1425 – 2004.
- 03- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، ط.1، بيروت، دار صادر، 1971م
- 04- ابن عاشور، محمد الفاضل، التفسير ورجاله، الأزهر – مجمع البحوث الإسلامية، 1390هـ – 1970م.
- 05- أبو الفلاح، عبد الحي بن أحمد بن محمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط.1، دمشق – بيروت، دار ابن كثير، 1406 هـ – 1986م.
- 06- أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن (ت: 665هـ)، إبراز المعاني من حرز الأمان في القراءات السبع، دار الكتب العلمية، د.ت.
- 07- الآلوسي، شهاب الدين محمود (ت: 1270هـ)، روح المعاني = تفسير الآلوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، ط.1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ.
- 08- بازمول، محمد بن عمر بن سالم، علم المناسبات في السور والآيات، ط.1، مكة المكرمة، المكتبة المكية، 1423هـ – 2002م
- 09- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، 1404هـ – 1984م.
- 10- البناء، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت: 1117هـ)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، المحقق: أنس مهرة، ط.3، لبنان، دار الكتب العلمية، 2006م – 1427هـ، عدد الأجزاء: 1
- 11- الترمذي، محمد بن عيسى (ت: 279هـ)، الجامع الكبير – سنن الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998م.
- 12- الجوهري، أبو نصر إسماعيل، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط.4، بيروت، دار العلم للملايين، 1407هـ – 1987م
- 13- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، ط.2، بيروت، دار صادر، 1995م.
- 14- الخطيب، عبد الكريم يونس (ت: بعد 1390هـ)، التفسير القرآني للقرآن، ط.1، القاهرة، دار الفكر العربي، 1390هـ – 1970م
- 15- الداودي، شمس الدين محمد بن علي، طبقات المفسرين، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.
- 16- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، ط.1، دار الغرب الإسلامي، 2003م.

- 17- الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط.3، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ.
- 18- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، 1376 هـ - 1957م.
- 19- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.
- 20- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير، ط.2، دمشق، دار الفكر المعاصر، 1418 هـ .
- 21- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط.3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه، د.ت.
- 22- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي، الأعلام، ط.51، دار العلم للملايين، 2002م
- 23- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (ت: 538هـ)، الكشاف=تفسير الزمخشري، ط.3، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407 هـ.
- 24- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط.2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ.
- 25- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974م.
- 26- الشاطبي، أبو إسحق إبراهيم بن موسى (ت: 790هـ)، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية= شرح ألفية ابن مالك، تحقيق: د. عبد المجيد قطامش، ط.1، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، 1428 هـ - 2007م.
- 27- شُرَّاب، محمد بن محمد حسن، شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري»، ط.1، ط.1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1427هـ- 2007م.
- 28- الصفدي، صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، 1420هـ- 2000م.
- 29- عتر، نور الدين، علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه، ط.2، دمشق، دار الغوثاني للدراسات الإسلامية، 1437هـ- 2016م
- 30- القزويني، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، د.ت.
- 31- المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـ)، تفسير المراغي، ط.1، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1365هـ- 1946م
- 32- اليافعي، أبو محمد غفيف الدين ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط.1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1417هـ- 1997م